السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ربنو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثاني عشر

في السجين

وكانت تلك الليلة حالكة الاهاب مسودّة الجلباب تلمع فيها البروق متتابعة وتقصف الرعود متتالية وتعصف الرياح بشدّة عظيمة. أمّا الاكواخ فكانت كلها مقفلة لا يُسمع عنها صوت ولا يُرى فيها ضارم نار

وبالرغم عن كثافة الظلام كنت ترى شبحًا ينساب في بطن العقيق مسرعًا وَجِلًا ويتخوّف من كل حركة يسمعها حتى انهُ كثيرًا ما كان يقف متسلفتًا ومنصتًا لصوت حصاة تتدحرج تحت قدميهِ ثم يستأنف سيرهُ السريع وهو يلهث من التعب. فلمّا وصل على مسافة ميل وقف وتنفّد والتفت الى الجهة التي خرج منها وجمع كفّهُ وهزّها مهدّدًا

ومع ذلك كانت العاصفة تزيد شدّةً وسيوف البرق تشقّ الغمام وهزيم الرعد يتبعها على الاثر فيدوي في الوهاد دويًا مخيفًا. وكانت الريح تزمجر والامطار على وشك النزول بغزارة. فحينئذٍ جدّ الرجل المذكور في مشيه ولكنّهُ لجهله طارق البلاد ولسرعته في تلك الظلمة المدلهمّة ضلّ الطريق فأخذ يَرْقى حَزْنًا ويهبط بطنًا تارةً يقوم وتارةً يقع الى ان خارت قواهُ واعياهُ السير. وقد بذل الجهد حتى يهتدي الى مقصده ولكن الظلام كان حالكًا جدًّا وكانت البروق اذا انارت تلك الوهاد الصخريّة لمحةً تليها الظلمة الكثيفة على الاثر. ثمّ اخذ المطر ينهمر كأنهُ السيل الدافق فتبلّلت ملابس هذا التائه المسكين حتى العظام وجعل يرتجف خوفًا وبردًا

وبينما هو هائم على وجهه لا يدري اين يضع قدمه اذا بالبرق قد شقّ الغيوم فرأى هوةً عميقة لو سقط فيها لقُضي عليهِ لا محالة فتراجع حينئذٍ خائفًا مرتعشًا واخذ يتعلّق باغصان الاشجار دون ان يجسر على التقدّم ولو خطوة واحدة. ولما كان سقوط المطر متواصلًا عزم على الرجوع القهقرى فأخذ يجسّ الارض بيديهِ قبل ان يضع رجله حتى يصحّ القول انهُ كان يزحف زحفًا وكان كلما تدحرج حجرٌ تحت قدميهِ يتعلّق بيديهِ في

الصخر . وما زال مشهد تلك الهوة ماثلاً لذهنه فكان يتصوَّر كل دقيقة انهُ سيقع في مثلها . و بعد ان مشى على هذه الصورة نحو نصف ساعة آنسَ من بعيد نوراً فعادت الطمأنينة الى قلبه واخذ يجدّ في المشي حتى انتهى بعد تعب جزيل الى البيت الذي شاهد ضوءَهُ فما قرع الباب حتى سمع صوتاً من داخل يقول من الطارق . ثم فُتح الباب على الأثر وخرج رجل حامل بيده قنديلاً فتفرَّس في ذاك الشريد الذي قصده ليلاً فعرف انهُ فاضل بعينه فصاح : اهلاً بفاضل لا تخشَ بأساً فانا اخوك نسيب

وكان فاضل كما سبق الخبر قد بلغ منهُ الغضب مبلغاً عظيماً من توبيخات نسيب فهام على وجهه هارباً مبتغياً التخلُّص غير ان مطافهُ في تلك الليلة الحالكة ادّاهُ الى نفس الموضع الذي خرج منهُ وما انقذهُ سوى نور القنديل الذي اشعلهُ نسيب في كوخه . وكان نسيب قد علم بفراره فاضطرب بالهُ ورقد في فراشه فلم يزر الكرى جفنهُ لقلقه وندم على ما فرط منهُ في الامس من الكلام القارص وان كان جلّ ما يبتغيه إصلاح مواطنه لا خسارتهُ

فرجع فاضل التهقرى حالما شاهد نسيباً . امَّا نسيب فانهُ شعر بانفراج كربته وزوال اضطرابه وتنهَّد تنهُّد من انكشف الهمّ عن قلبه ورحّب بالآتي

وكان فاضل يودّ ان يهرب الّا ان نسيباً امسكهُ بيده وادخلهُ الى كوخه فجلس على كرسي وهو مغموم كئيب وشرر الغضب يتطاير من عينيه . ثم ان نسيباً اشعل ناراً قويَّة في المدخنة وبينما كان لهيبها متصاعداً أبصر فاضل على المائدة علبة من الورق المقوّى (الكرتون) مكشوفة وشاهد فيها شذوراً من الذهب . وهي التي كان نسيب قد وجدها معهُ بينما كان يعاقر الخمرة في الحانة مع سائر عملة المناجم فتنبَّه اذ ذاك غيظهُ واستيقظ غضبهُ فالتفت الى نسيب وقال :

هل أنقذتَ حياتي في نيويورك وسان فرنسيسكو حتى تأتي بي الى مناجم كاليفورنية لاجل تحقيري واهانتي

— اخفض صوتك وسرّ عن قلبك فما انت الآن الّا ضيفي . واعلم اني ان اشفقت عليك نهار أمس ولم اسلّمك الى الحكومة ففي وسعي اليوم أن أسلمك اليها لتجازيك على غدرك

— سلّمني ان شئتَ الى الحكومة

— أتهيني بينما ألاطفك واقبلك في ضيافتي ؟

— نعم أهينك فما انت سوى كذاب ذميم

— أ أنا كذاب ؟ وهذه الشذور أما أنتَ سارقها ؟

— برهن على أني سارقها

— ما اعجلك في الكلام مجازفةً . ألا تعلم ان الادلة عندي كثيرة

— بيّنها لي ان كنت تستطيع فاني لم آخذ منك شيئاً

— نعم انك لم تسلبني شيئاً كما يسلب السارقون المحنكون . فانك لم تتجرأ قط على اختلاس مبلغ عظيم يختص بالنير

— ومع ذلك تتهمني بالسرقة

— نعم اني اتهمك فقد كنت في كل يوم تتناول قطعةً من الشذور الذهبيّة التي كان من الحق ان تعود اليّ . فبأي اسم ندعو هذا العمل أليس هو السرقة بعينها

فطب فاضل حاجبيه ولم يُجب . فأردف نسيب

— واعلم الآن انك ان نطقت بكلمة واحدة اسلّمك للحكومة . ولكن أتدري ما هي الحكومة هنا . انها حكومة شديدة لا تُغضي على زلّة . فمن مدّة شققتَ عاملاً نظيرك في الارزة الكائنة قرب النهر لانهُ ارتكب جناية اخفّ من جنايتك

فسكت فاضل عند هذا الكلام ولم ينطق ببنت شفة . غير ان نسيباً لما رآهُ يرتعد خوفاً قال لهُ :

ومع ذلك فاني لست ناوياً تسليمك الى الحكومة

— حتامَ اذاً تحبسني عندك . إلامَ تبقيني للحقارة والهوان وهل تريد ان يتيسّر لك الوقت لاجل تعذيبي ببطء وتمهّل

— ما احتملتُ اصلاً ان يبزأ بي الناس ويزدروني

— وانا كذلك

— كن على حذر فما أسرع نسيانك للماضي

— اصنع ما تشاء . اشتقني ان شئتَ

— أنك تهذي

— أفعل مثلك

— سترى ماذا يحلُّ بك

— لا احفل بتهديدك ولا اعبأ بوعيدك فقد وضحتْ غايتك انك تريد ان تستظلّني بايمانك في خدمتك المقيتة التي تجرُّ عليك المكاسب ولا تورثني غير التعب وفناء القوّة

— اني لفي غنىً عنك. فابقَ الآن هنا وحدك وغدًا صباحًا تركب عربة الى ستوكتون لاني لا أريد ان أبقيك عندي

— أراه متى يكون الفرح. ألا لعن الله الساعة التي عرفتك فيها

— ألا تدري انك انت الآن سجيني

قال نسيب ذلك وخرج مغضبًا وأغلق الباب وأقفلهُ بالمفتاح (ستأتي البقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

1 محمحمها وهمها حمنب وهمهمهم احمنبا — 2 حمحا وحمحما وهمها حمنب همهجب احمحمها وحرزه — 3 قمها مهمها وامهجم حزهزها وهمهم وحمحم حمنب ماهوزهم مهمها — 4 امحا وحنب همحمحني حمنب مهمحوب سهجا — 5 مامحا وهمها حزهمحم احمحمها وهمهمهمهمحم — 6 مهمّا واهمحه حمقهم هيمها قح حنب احزهم مهيمها حنب وهمهم

قد اهدانا حضرة العلاّمة المستشرق الكاهن حنّا شابو (J. B. Chabot) نسخةً من مطبوعاته الحديثة في السريانيّة. وهي عبارة عن ستّة تآليف تنطق جميعها بفضل كتبة السريان الاقدمين وهمّة ناشرها الحبي لمآثر نصارى الشرق. (واوّلها) القسم الرابع من التاريخ المنسوب لديونيسيوس التلمحري احد علماء اليعاقبة المبرّزين وبطاركتهم (٨١٨ — ٨٤٨). وقد اثبت العلماء انّ صاحبهُ احد رهبان دير زقنين يدعى يشوع جمعهُ من تواريخ مختلفة نحو سنة ٧٧٥ م. وضمّنهُ اخبار العالم من اوّل الخليقة الى زمانهِ. وهو كثير الفوائد يقسم الى اربعة اقسام نُشر منها بالطبع العلاّمة تلبرغ (Tullberg) القسم الاوّل. وهو يشتمل على اخبار الدنيا من اوّل العالم الى عهد قسطنطين الكبير. اما القسم الثاني والثالث فقد اتبع فيهما المؤلّف مؤرّخين يونانيين وسريان طُبعت تواريخهم جميعاً. فبقي القسم الرابع هذا الذي نحن بصددهِ اثبت فيهِ مؤلفهُ امورًا عديدة لم يروها غيرهُ وقد اسهب في شرح بعضها لانها كانت قريبةً من زمانهِ وهذا القسم الاخير يفتتح باخبار السنة ٥٦٥ وينتهي في سنة ٧٧٥ م فلم يكتفِ